**هدف المحاضرة:** التعرف على فلسفة أفلاطون، وذلك من خلال التطرق إلى نظريته في المثل، ورؤيته لمسألة المعرفة والأخلاق والسياسة.

**المحاضرة السابعة: المدرسة المثالية الأفلاطونية**

يعتبر الفيلسوف أفلاطون (427 - 347 ق.م) أشهر فلاسفة اليونان على الإطلاق. ولد في أثينا في عائلة أرستوقراطية. يقال إنه في بداياته تتلمذ على السفسطائيين، كما كان تلميذا لهراقليطس، قبل أن يرتبط بمعلِّمه سقراط في العشرين من عمره. وقد تأثر أفلاطون كثيرًا فيما بعد بالحُكم الجائر الذي صدر بحقِّ سقراط وأدى إلى موته، الأمر الذي جعله يعي أن الدول محكومة بشكل سيئ، وأنه من أجل استتباب النظام والعدالة ينبغي أن تصبح الفلسفة أساسًا للسياسة. وقد عرف أفلاطون من خلال كتبه التي جمعت بين الفلسفة والشعر والفن. وكانت كتاباته على شكل حوارات، لهذا فقد أوجد أفلاطون ما عُرِفَ من بعدُ بطريقة الحوار التي عبَّر من خلالها عن أفكاره عن طريق شخصية سقراط، والذي تمثَّله إلى حدِّ بات من الصعب جدًّا التمييز بين فلسفة التلميذ وفلسفة أستاذه الذي لم يخلِّف لنا أيَّ شيء مكتوب.

**أولا: نظرية المثل**

نظريته في المثل تعد الاساس والمنطلق الذي تبني عليه فلسفته بكاملها في الفن والجمال والتي أراد بها التعبير عن طبيعة النظرة العقلية الى العالم من حيث تخليها عن الطابع العرضي للظواهر المتغيرة، فنظرية المثل كانت تعبيرا عن نظرية عقلية كلية. لقد كان أفلاطون يرى أن الوجود ينقسم الى ثلاث دوائر: دائرة المثل والمدركات العقلية وهي دائرة الحقائق الكلية، دائرة العالم المحسوس والطبيعة والواقع، دائرة الفنون. والعلاقة التي تربط بين هذه الدوائر الثلاث هي علاقة محاكاة وتقليد(Tradition). الأولى عالم المثل والثانية عالم الحس وهو صورة للعالم الأول والثالثة عالم الظلال والصور والأعمال الفنية

لقد قسم أفلاطون الكون في ضوء فلسفته المثالية الى عالم مثالي كامل من صنع الإله يتضمن حقائق مطلقة والتي لا يمكن لمسها في الواقع (غيبية ميتافيزيقية)، وعالم محسوس طبيعي مادي (فيزيقي) هو عالم الموجودات والذي هو ظل أو صورة منقولة عن عالم المثل. ومعنى ذلك أن العالم الطبيعي الموجود هو عالم مشابه ومماثل لعالم المثل فهو محاكاة(imitation) له وصورة عنه وذلك ما سماه أفلاطون التقليد الأول أي صورة المثل في الواقع. ولشرح ذلك الشجرة الموجودة في الواقع أي في العالم الطبيعي هي صورة للشجرة الأولى الموجودة في عالم المثل التي خلقها الإله أي أنها تقليد للمثال الأول، فإذا رسم الرسام شجرة ثالثة فإنه سينقلها عن الشجرة الثانية التي بدورها صورة عن الشجرة الأولى، ففي حالة الفنان أو الرسام يمكن اطلاق عبارة (تقليد التقليد) محاكاة المحاكاة لأنه حاكى الشجرة الثانية التي هي بدورها محاكاة للشجرة الأولى في عالم المثل، ومادام العالم الطبيعي الموجود هو عالم مشابه ومماثل لعالم المثل فهو محاكاة له وصورة عنه، ومن ثم فهو صورة ناقصة لا تطابق الحقيقة مثل التمثال الذي ينحت لشخص ما، لذلك رأى افلاطون أن الأشياء الخارجية لا حقيقة لها إنما هي صور لأفكار مكنونة هي المثل الموجودة حقيقة. من هذا المنطلق جعل للحقيقة منازل ثلاثة: أولا: منزلة الصنع الحقيقي والخلق وهو عمل الله صانع المثل. ثانيا: الصنع الانساني. ثالثا: المحاكاة وهي إعادة خلق للمظاهر وللصور ولا للحقائق.

والطريق إلى عالم المثل هو المنهج الجدلي أو الديالكتيكي. والديالكتيك نوعان صاعد ويكون بالاستقراء ونازل ويكون بالقسمة.

**ـــــ الجدل الصاعد:** يعتمد الاستقراء  وهو انتقال الذهن من الجزئيات إلى الكلّي الذي يشملها. من تأمّل الجزئيات يقع استخلاص الصفات الجوهرية التي تربط هذه الجزئيات بعضها ببعض والتي تشكّل الماهية العامّة أو النوع . مثال: لأنّ كلّ النّاس يفكّرون يمكن تجميعهم في نوع واحد هو النوع الإنساني. ولأن النوع الإنساني هو كائن حيّ مثله مثل الكلب والقطّ، فيمكن أن نجمع هذه الأنواع في مجموعة أشمل تسمّى جنسا . ويمكن أن نجمع جنس الحيوان مع جنس النبات في جنس سام هو الكائن الحيّ. ذلك هو الاستقراء.

**ــــــ الجدل النازل:**  الحديث عن هذا الجدل يقتضي الإشارة إلى أن المثل عند أفلاطون مرتبة ترتيبا هرميّا. وفي قمّة الهرم ينتصب مثال الخير. يتمثّل الجدل النازل في النزول من أرفع مثال إلى أدناها والمنهج المستخدم في ذلك هو القسمة. تستخرج القسمة من الجنس نوعين أو ثلاثة. وتستخرج من كلّ نوع صنفين أو ثلاثة حتّى تنتهي إلى البسائط. ومن المزالق في استخدام القسمة هو اعتبار المركب بسيطا والعرضي جوهري. والقسمة المثلى هي الثنائية، كأن تقول إن الفيزياء هي علم. والعلم نظري وعملي. والفيزياء هي علم نظري. والعلم النظري إمّا يرتكز على الاستقراء وإمّا يرتكز على المنطق. والفيزياء علم استقرائي. وهكذا نتدرّج من قسمة إلى أخرى حتّى نصل إلى التعريف الذي لا ينطبق إلاّ على الفيزياء.

**ثانيا: نظرية المعرفة**

**1 ـــ مراحل المعرفة:** وضع أفلاطون في نظريته للمعرفة أربع مراحل:

**ــــــ الإحساس:** أول مراحل المعرفة لا يمكن أن يكون الإحساس هو كلّ المعرفة لأنّه يقتصر على الظواهر المتغيّرة ولا يدرك الماهيات. يقول بروتاغوراس إن الإنسان هو مقياس كلّ شيء وإن ما يظهر لكلّ فرد هو عنده الحقيقة، ولكن هذا غير صحيح في نظر أفلاطون ولو كان ذلك صحيحا لكانت كلّ الآراء صادقة على السّواء المتناقض منها والمتضادّ . فهل يعقل أن تتعدّد الأحكام تجاه نفس الظاهرة؟ هل يعقل تجاه كمّية من الماء أن يحكم عليها شخص بأنّها باردة ويحكم عليها آخر بأنّها دافئة ويحكم عليها ثالث بأنّها حارّة؟ فالإحساس ذاتي ونسبي ويخضع لمزاج الشخص وحدّة حواسه. كما اعتبر أن الإحساس خاطئ، لأنه لا يصوّر لنا الأشياء كما هي عليه في الواقع. فنحن نرى الأشياء البعيدة صغيرة الحجم، والعصا متكسّرة في الماء... ولكن الواقع هو عكس ذلك.

بالإضافة إلى أنه اعتبر أن الإحساس هو معرفة ظاهرية جزئية، فكلّ حاسّة تقدّم إحساسات حول الأشياء، ولكنّها إحساسات منفصلة. لكن الفكر هو الذي يحكم على الأشياء ويركّب الإحساسات. فالفكر يجمع الإحساسات ويصدر الأحكام والحواس لا ترتقي لذلك. والدليل على ذلك أن العالم والعامّي يشتركان في الإحساس ويختلفان في العلم. فالإحساس إذا معرفة ظاهرية محدودة. وهو يقف عند ظاهر الأشياء، بينما العلم يعرف القوانين الثابتة ويتكهّن بالمستقبل. وهو أمر يتجاوز ما هو محسوس ومباشر.

**ــــــ الظنّ:** الظنّ أرقى من الإحساس، لأنّ فيه اِستخداما للذهن وتجاوزا للمحسوس، ولكن مشكلة الظنّ أنّه يتخّذ من موضوع الدراسة مناسبة لا لطرح خصائص الموضوع وإنّما لطرح موقف الدّارس منه. فعندما يقول شخص "أظنّ أن المطر سينزل غدا" فذلك يعني أنّه ليس متأكّدا ممّا يقول. فالظنّ هو حكم حسب ما يبدو للشخص الذي يظنّ. وبتعبير آخر هو حكم غير مؤسس على معطيات واقعية شاملة لذلك يضطرّ الشخص -مع نقص المعطيات- أن يدلي برأيه ويتمّم ذلك النقص فيقول لك "يبدو أن الأمر كذا" أو "أعتقد أن..."

هل المقصود بجمع المعطيات الواقعية الميدانية هو تثمين الإحساس والعودة للمرحلة الأولى؟ طبعا لا! إن المطلوب لتجاوز الظنّ هو ربط الظاهرة بعلّتها. ليس الظنّ هو العلم الذي تتوق إليه النفس إذ أنّه قد يكون صادقا وقد يكون كاذبا. بينما العلم صادق بالضرورة. وحتّى لو كان هذا الظنّ صادقا فليس هو بالعلم، لأنّ العلم قائم على البرهان بينما الظنّ تخمين. وإذا صدق فإنّه يكون شبيها بالإلهام لا اِكتسابا عقليّا.

**ــــــ الاِستدلال:** إن المرحلة الأولى من المعرفة (الإحساس) والمرحلة الثانية (الظنّ) تحدّث عنهما أفلاطون لوجودهما عند الغير، لكن لم يدعو إليهما لأنّه يرفضهما جملة وتفصيلا. العتبة الأولى للمعرفة الحقيقية أو الخطوة الأولى التي يجب اِكتسابها في المعرفة هي المعرفة الاستدلالية والتي نكتسبها بتعلّم الرياضيات لأنّ هذه المعرفة هي التي تهيّئ الذهن لمعرفة المثل ولذلك كتب أفلاطون على باب الأكاديمية " من لم يكن مهندسا لا يدخل علينا".

فهذه العلوم وأن كانت تبدأ من المحسوسات إلاّ أن موضوعاتها متميّزة عن المحسوسات. فالحساب ينطلق من الجزئيات ولكنّه يرتقي لفحص الأعداد، خواصها والعلاقات بينها. وتتحوّل هذه الأعداد إلى موضوع في حدّ ذاته، بصرف النظر عن المحسوسات التي جاءت منها. وليست الهندسة مسحا للأراضي ولكنّها دراسة للأشكال الهندسية. فالرياضيات تضع الفكر أمام المعاني الكلّية والقوانين المجرّدة. هذه المعاني والقوانين تلبس المحسوس وتتكرّر في الجزئيات، لذلك يمكن استخدام المحسوس لا كموضوع بل كواسطة لتنبيه المعاني الكلية المقابلة لها.

منهج العلوم الرياضية ليس التجريب أو التقيّد بما هو مادّي، وإنّما هو منهج فرضي-استنتاجي  ذلك المنهج الذي يضع مقدّمات ويستخرج منها نتائج. هذا المنهج يحرّر الفكر ويسمح له بإثبات فاعليته فيتخيّل أشكال هندسية غريبة عن الواقع ويكوّن مجموعات لامتناهية.

**ــــــ التعقّل:** إن الأشياء في الواقع إمّا مادّية (طاولة، كرسيّ، قلم...) أو معنوية (حرية، عدالة، سعادة..) وسواء كانت هذه أو تلك، فإنّ الصورة المثالية أو الفكرة المجرّدة بالنسبة للأشياء المادية وكذلك بالنسبة للمعاني توجد في عالم المثل. فالمثال بالنسبة للشيء المادّي هو الأسبق كما أنّه النموذج بالنسبة له. مثال هناك أسرّة في الواقع متفاوتة القيمة لكن السرير النموذج أو المثال هو فكرة لا يستطيع أي نجّار أو حدّاد أن يجسّدها مهما تفنّن في الصنع. فالمثال هو نموذج الجسم أو مثله الأعلى متحققة فيه كمالات النوع ولكنّها لا تتحقق في الأجسام إلا بشكل متفاوت.

وكما هناك مثال للشيء المادّي هناك أيضا مثل للمفاهيم التي في ذهن الإنسان. مثال في ذهن الإنسان كلّ منّا معنى للحرّية ولكن معنى الحرّية الحق أو المعنى اليقيني لها لا يوجد إلاّ في عالم المثل. كلّ المعاني في ذهن كلّ واحد منّا مختلفة عن المعاني لدى غيره، لأن كلّ واحد منّا يشكّل معانيه حسب تكوينه وتجربته الحياتية، لكن المعاني في عالم المثل ثابتة وكلّ معنى له تعريف واحد.

**2 ــ المعرفة تذكّر والجهل نسيان**

لم يكن أفلاطون ينظر للمعرفة  كما ننظر لها نحن اليوم. فالمعرفة  في نظره غير ممكنة. فإذا كان الإنسان يعلم فهو ليس في حاجة لأن يعلم. وإذا كان يجهل حقّا فمن المستحيل أن يعرف.

إذن كيف يمكن للإنسان أن يعرف ؟

إن النفس كانت في عالم المثل، قد اكتسبت المعرفة بشكل فطري. ولكن إنزالها إلى الواقع المحسوس جعلها تنسى ما عرفته في ذلك العالم وهذا هو حال العامّي. فالعامّي تسكنه معرفة الحقيقة مثله مثل الفيلسوف، ولكنّه نسي ما عرفه في عالم المثل بفعل المشاغل اليومية. الفيلسوف فقط هو الذي يتذكّر ما كان يعرفه في عالم المثل. فهو لا يكتشف الحقائق عن جهل وإنّما يتذكّر ما كان يعرف. ولو لم يكن يعرف لما عرف. لذلك يعتبر أفلاطون أن المعرفة تذكّر والجهل نسيان.

**ثالثا: الأخلاق**

يرى أفلاطون أن الخير الذي هو غاية الحياة الإنسانية، إنما هو مبدأ كل واقع وأساس الوجود والمعرفة على السواء، والخير عنده يقوم في الخلاص من الشهوات وقمع اللذات بالتطهير، وتكون الفضيلة هي الفرار من عالم الحس إلى التأمل الفلسفي الخالص، ومن هنا كان الخير الأقصى أو السعادة هي في التأمل الفلسفي. وتعد النفس الإنسانية هي المحور الذي تدور حوله فلسفة أفلاطون باعتبارها مقر المثل الأخلاقية وهي أزلية خالدة. ويرى أن النفس البشرية تنقسم ثلاثة أقسام ولكل منها فضيلة خاصة بها وذلك على النحو التالي:

**1ـــ النفس العاقلة:** مقرها الرأس ومهمتها التمييز بين أنواع الخير وبلوغ الخير المطلق وفضيلتها الحكمة.

**2 ـــ النفس الغضبية:** مقرها الصدر ومهمتها أن تطيع النفس العاقلة في تحقيق الخير ومقاومة النفس الشهوانية، وفضيلة هذه النفس هي الشجاعة.

**3ـــ النفس الشهوانية:** مقرها البطن وفضيلتها العفة. والحكمة هي أرفع هذه الفضائل منزلة، والإنسان الحكيم هو الذي يحرص على الاعتدال وتحقيق الانسجام التام بين هذه الفضائل الثلاث، بحيث لا تطغى واحدة على أخرى، فإذا أذعنت الشهوانية للغضبية وخضعت الغضبية  للعاقلة، ساد النظام والانسجام في النفس. ويسمي أفلاطون حالة التناسب والانسجام بين هذه القوى الثلاث بالعدالة وستكون السعادة الأخلاقية نتيجة منطقية لهذه العدالة، وهذه السعادة هي الخير الأقصى.

**رابعا: السياسة**

يبدأ تصور أفلاطون للمدينة المثالية في (الجمهورية) من محاولته بلورة مثال ثابت للعدالة، ففي الكتاب الرابع من الجمهورية يعرف العدالة بقوله : » إن على كل فرد أن يؤدي وظيفة واحدة في المجتمع هي تلك التي وهبته الطبيعة خير قدرة على أدائها و بدون أن يتدخل في شؤون غيره «.

والدولة المثالية عند أفلاطون تقوم على مبدأ تقسيم العمل بين أفرادها وطبقاتها، حيث قسم الأفراد في الدولة إلى طبقات ثلاث هي طبقة الحكام وطبقة الجند وطبقة المنتجين، وكثيرا ما كان يشير إلى الطبقتين الأولى والثانية باسم »طبقة حراس الدولة «.

وهذا التقسيم الطبقي الهدف منه أن تؤدي كل طبقة وظيفتها متحلية بإحدى الفضائل الأخلاقية، إذ يمارس

الحكام مهام منصبهم، متحلين بفضيلة الحكمة، وينبغي كذلك أن يقوم الجند بأداء وظيفة الحراسة على الوجه الأكمل متحلين بفضيلة الشجاعة، وينبغي أن يقوم المنتجون بإنتاج الخيرات المادية المختلفة بكل جدية وبكل إتقان وعلى الجميع أن يتحلوا بفضيلة العفة فيحصلوا مما ينتجونه على ما هو ضروري لهم وتصبح بقية المنتجات ملكا للدولة توزعها على أفراد الطبقات الأخرى، فالعدالة في الدولة مرهونة بممارسة كل طبقة من هذه الطبقات وظيفتها دون أن تتدخل في مهام غيرها » فالتعدي على وظائف الغير والخلط بين الطبقات الثلاث يجر على الدولة أوخم العواقب «.أما » إذا اقتصرت كل من الطبقات الثلاث: الصناع والمحاربين والحكام على مجالها الخاص، وتولت كل منها العمل الذي يلائمها فهذا هو العدل وهو ما يجعل الدولة عادلة «.